وظيفيّة النّمط التّنغيميّ في بناء المقولات التّركيبيّة وضبط المُوجّهات الدّلاليّة

أمينة سالم شويط ناصر الديحاني*

تاريخ الاستلام: 2020/09/06 تاريخ القبول: 2021/03/02

https://doi.org/10.51405/19.1.4

ملخّص

يتناول البحث قيمة التنغيم وأهميته في الدرس اللغوي المعاصر، وتطبيق بعض الرؤى التنظيرية في الدراسات التراثية والحديثة، وقد اتّبع البحث المنهج التحليلي الوصفي، ومن أبرز أهدافه التمكن من تأسيس قواعد تحكم مسار درجات التنغيم، وتحديد ملامحه الدلالية، واعتباره قرينة لغوية تعين على تفسير قضايا التركيب والدلالة. وقد توصل البحث إلى بعض النتائج؛ منها الكشف عن الوظائف السبع المنوطة بالتنغيم، كما صاغ بعض الضوابط لقياس المستويات التنغيمية، ونسبيتها من حيث درجات الارتفاع والاستواء والانخفاض مع بيان دلالاتها المتباينة، ووضع معايير تقنينية لمستويات التنغيم وفقًا لمكوناته، ورصد البحث مصاحبات التنغيم الصوتية التي تضفي مزيدًا من الإيضاح الدلالي، والمصاحبات غير الصوتية الملازمة له، وقد أوثق العلاقة بين التنغيم كأداء والتركيب كبناء والدلالة كإيحاء؛ حيث أكد دور التنغيم المفصلي في بناء المقولات التركيبية، والتمس بعض موجهات التنغيم للتفريق بين الأساليب النحوية وأبعادها النفسية، وانتهى البحث بعرض نماذج من الشواهد القرآنية والشعرية، التي يظهر أثر التنغيم في نطق تراكيبها وتوجيه دلالاتها، وقدّم توصيات تطالب بصقل معيارية درجات التنغيم وأركانه، التي تسهم مجتمعة في تجلية مقاصد البناء التركيبي للمقولات وضبط موجهاتها الدلالية.

الكلمات المفتاحيّة: النمط التنغيمي، المقولات التركيبية، الموجهات الدلالية.

المقدّمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد،

فالاهتمام بطرائق الأداء في السلسلة الكلامية من القضايا التي أكّد عليها علم اللسانيات الحديث؛ ومن تلك الطرائق ما يطلق عليه بمصطلح "التنغيم"، الذي يعد ظاهرة صوتية تشترك

© جميع الحقوق محفوظة لجمعيّة كلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتّحاد الجامعات العربيّة 2022.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكويت، مدينة الكويت، الكويت.

فيها اللغات الإنسانية كافة، ولها دور ريادي في إنشاء قواعد المقولات التركيبية وتوجيه الدلالة، فالكلمة أو الجملة قد يكون لهما معانٍ متباينة باختلاف السياق اللغوي ومقصد المتكلم، حتى وإن لم يتغيّر شيء بحذف أو ذكر أو زيادة أو تعديل، إنما هي ذاتها تتلون بدرجات تنغيمية مختلفة لتدل على معانٍ لغوية نفسية.

وقد ألمح اللغويون القدماء إلى أثر التنغيم الصوتي في تغيير دلالة المفردات والتراكيب أثناء التواصل اللفظي، ولكنهم لم يتناولوه بشيء من التفصيل، أو يفردوا له أبوابًا خاصة في أعمالهم البحثية، ولم يضعوا له قواعد تحكمه أو ضوابط تقننه، إلا أنهم كانوا يدركون حقيقة تلك العلاقة الوثيقة بين التنغيمات الصوتية والتغيرات الدلالية، ويُعزَى ذلك إلى ما يمتلكونه من حدس لغوي، يمكِّنهم من إطلاق الأحكام على ما يتم تداوله ودلالته. كما شغل التنغيم فكر المحدثين في البحث المعاصر، وكانت جهودهم تتفق ونظرة القدماء لهذه الظاهرة الصوتية، وذلك باعتبار أن للتنغيمات الصوتية المصاحبة للكلام وظائف نحوية ودلالية. وتختلف تلك التنغيمات باقترانها ببعض العوامل، التي سيتناولها البحث بالعرض والبيان، وهذه العوامل تُسهِم في صياغة المقولات النحوية وتوجيهاتها الدلاليّة، وهي موضوع هذا البحث، الذي سيقف على تأسيس قواعد ضابطة للتنغيم.

التمهيـــد

اللغة خاصية يمتلكها الإنسان للتواصل مع أبناء جنسه، وإلى هذا الغرض أشار ابن جني في تعريفه للغة، حيث ذكر في حدّها: "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[(1)]، وبهذا التعريف نستشرف بعض المعطيات التي لها صلة بموضوع البحث، فقد أكد في تعريفه للغة على أمرين؛ هما: طبيعتها الصوتية ووظيفتها التعبيرية، وقد انطلقت معظم الدراسات اللغوية من سنن هذه المنظومة الصوتية، وممن سار على نهجه كريستال Crystal في تعريفه للغة بأنها "الاستخدام النظامي والعرفي للأصوات، أو العلامات، أو الرموز المكتوبة في مجتمع إنساني من أجل التواصل، والتعبير عن الذات"[(2)]. ولا ريب في أن النطق من أهم موضوعات علم اللسانيات الحديث، وذلك باعتبار أن العناية بدراسة الأصوات ومخارجها وصفاتها وتغيراتها ونغماتها- تعد الركيزة الأولى لدراسة أي لغة إنسانية، والأساليب الأدائية تتصدر الدراسات اللغوية، باعتبار أن الأصل في اللغة هو النطق، فالكتابة ما هي إلا رسم وتدوين له. وبحثنا له علاقة مباشرة بمستويات اللغة، ونقطة ارتكازه تقوم على جانبها الوظيفي، والتنوع الحاصل في أدائنا الكلامي يُعرَف في اللسانيات الحديثة بمصطلح "التنغيم".

المبحث الأول/ التنغيم الوظيفي في الأداء الكلامي:

التنغيم Intonation استعمال تمييزي لتغيرات في درجة الصوت تمتد على المنطوقات، وهو أحد الملامح الصوتية التي لا تُعَد ضمن المنظومة التركيبية للغة، ونعني بالتنغيم مستوى الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت، والتغير الحاصل فيه يرجع لتذبذب الوترين الصوتيين، ويعتبره إبراهيم أنيس "موسيقى الكلام"[3]، وله تنبيهات على أن النطق يتخذ أشكالاً نسقية مختلفة، تختلف دلالتها باختلاف طريقة نطقها. وهناك عقد واضح بين التنغيم ووقعه الموسيقي في الأذن، وتظهر الحاجة له إذا توحّد التركيب الكلامي، فحينها يقع اللبس في الكلام، فنستعين بالتنغيم لنأمنه.

ويُعَد التنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات الإنسانية، وقد تتشابه في استعمالاته، وقد تختلف، فهناك تباين واضح بين العربية والإنجليزية في التنغيم تطبيقًا على التراكيب النحوية، فبينما نجد التنغيم في العربية للجملة الاستفهامية ذاتها (أليس كذلك؟) يبدأ هبوطًا، وينتهي علوًا؛ نجده في الإنجليزية للجملة الاستفهامية (Is not it?) يبدأ علوًا وينتهي هبوطًا. والتنغيم في اللغة نوعان هما: التنغيم الوظيفي، والتنغيم الوصفي، فأما التنغيم الأول فيتمثل في درجة الارتفاع والانخفاض في الكلام، وهو معقود بالوظيفة النحوية للتراكيب، ومن خلاله يمكن معرفة دلالة الأساليب النحوية من دون استخدام أدوات النفي أو الاستفهام ... إلخ. وأما التنغيم الثاني فهو مفهوم وصفي يرتبط بمستوى الجهر للملفوظات في العملية الكلامية، ويتعلّق بمستويات الصعود أو الهبوط في درجة الصوت، واختلاف مستوى ذبذبته.

والتنغيم له وظائف منوطة به؛ منها ما يرجع إلى مقصد المتكلم، أو يتعلّق بإدراك المتلقي، أو يختص بهدف الاتصال، أو يتحقق في السياق اللغوي؛ ومن أبرز وظائفه ما يأتي:

أولا/ وظيفة تنميطية: يُعَد التنغيم ظاهرة صوتية تميز أنماط الكلام، الذي لا يسير على وتيرة واحدة، وإلا كانت معظم الأغراض اللغوية متشابهة إلى حد ما، فالتنغيم يسهم في تحديد معنى القوالب النحوية، وله دور في تصنيف التراكيب اللغوية إلى أجناسها النحوية.

ثانيا/ وظيفة سياقية: للتنغيم وظيفة تتعلق بالمقام، ومجريات الموقف الكلامي، كما أنّ له وظيفة اجتماعية، يكشف المتلقي من خلالها عن انتماءات المتكلم الاجتماعية والثقافية.

ثالثا/ وظيفة إفصاحية: يكشف التنغيم عن مقاصد المتكلم في الموقف التواصلي، التي قد يُواريها، وكيفية تنغيمه تُظهِر ما يضمره، فأمر الدلالة القطعية للمقولات موقوف على خصائصها النطقية.

رابعا/ وظيفة تأثيرية: يؤثر التنغيم في أطراف العملية التواصلية؛ حيث يُلحِق الأثر الانفعالي المطلوب في المتلقي، ومن خلاله نستبين الحالة الشعورية والانفعالية للمتكلم.

خامسا/ وظيفة إبلاغية: يسهم التنغيم في إفهام المخاطَب فحوى الرسالة اللغوية، وإلحاق رجع الصدى عليه؛ من خلال صياغة اللغة بتنويعات صوتية متباينة، يتخذها المتكلم للإبلاغ عن المعاني التداولية.

سادسا/ وظيفة إقناعية: ويمكن أن نسميها اللغة الندائية أو الإيعازية، ويتم التركيز فيها على الطرف المتلقي، والتأثير فيه، وإقامة الحجة عليه من خلال تنغيم الصوت، وأبلغ من يوظّف القيمة الاعتبارية للتنغيم في الإقناع هم الخطباء، الذين يمتلكون أدوات الإقناع، وتنساب منهم بطواعية، أما إذا فَقدوا مفاتيحه باختيار اللفظ المناسب، والأصوات المعبرة، والتراكيب الجزلة، والتنغيمات المؤثرة؛ فإنهم قد فرطوا من ألسنتهم الهدف المنشود من إقامة الحجة المقنعة.

سابعا/ وظيفة تنظيمية: التنغيم له مؤدى تنسيقي لسير الكلام في الاتصال المسموع، شأنه بذلك شأن علامات الترقيم في الاتصال المقروء، فهو يقوم بعمليات الفصل والوصل والوقف بين أجزاء الكلام.

المبحث الثاني/ ضوابط الدرجات التنغيمية:

الدرجات التنغيمية ليست مطلقة بل تبقى نسبية، وهي على مستويين؛ المستوى الأول: الصاعد جدًا منه، وهو محدود الوجود والتوزيع، ولا يُبدَأ به الكلام؛ بمعنى أنه يقتصر على الألفاظ دون الجمل، وهي ألفاظ عادة ما تتعلق بالانفعالات الشعورية من دهشة وفرح وحزن وغيرها، ويمكن تحديد مستوى التنغيم من شكل نغمة المقطع أو الكلمة التي وقع عليها النبر. والمستوى الثاني: قائم على المدى من أعلى نغمة وأخفضها في الصوت، حيث إن الكلام دارج بين علو وهبوط واستواء، والمدى بين المستويات التنغيمية المختلفة إما واسع أو متوسط أو ضيق، فنغمات الصوت لا تسير على وتيرة واحدة، بل تتباين وفقا لقواعد تحكمها وتضبط مسارها، ويمكن على ضوئها قياس معيارية درجة الصوت في المواقف الكلامية المختلفة. والدرجات التنغيمية نجدها تُحدَّد وفق الضوابط التقابلية الآتية:

1- الضغط والتخفيف (مكوّن تنفسي): يظهر الضغط على صوت أو مقطع معين، مما يبرزه دون غيره أو يخفّ الضغط عنه، فيهبط الصوت، ويستلزم النبر طاقة بالنفس أكثر لإصداره.

2- الارتفاع والهبوط (مكوّن اتجاهي): يتضح من خلاله صعود درجة الصوت، أو انخفاضه عن غيره.

3- **الشدة واللين (مكوّن إيقاعي):** يشير لحركة الأصوات، فإما أن تعتليها الغلظة وإما أن يعتليها الترقيق عند إصدارها.

4- **السعة والتردد (مكون امتدادي):** السعة تتعلق بذبذبات الصوت طوليًا، والتردد يَعُدُّ نسبة تكراره.

5- **الطول والقصر (مكوّن مساحي):** يقيس انبساط الصوت وفقًا لتوالي الحركات الطويلة (المدود) وسحب الصوت، أو تقليص امتداده عند إصداره.

6- **الوقف والوصل (مكوّن عرضي):** يقطع امتداد الصوت عند أطوال مختلفة، أو يقرنه بغيره.

7- **الحدة والضعف (مكوّن انفعالي):** يختص بتلوّنات الأصوات وفقًا للحالات الشعورية؛ فقد يبدو الصوت واضحا عند انفعال الغضب، أو غير واضح عند الخوف.

ووفقًا لما ذكرناه من الضوابط والأسس التي تحكم درجات الصوت؛ نجد أن التباين الحاصل في دلالاتها مرجعه للعوامل السابقة، كما أن النطق لأي جملة يتمايز بأشكال مختلفة؛ أبرزها:

1- **التنغيم المنخفض Falling Tone**: ويبدأ بانخفاض الصوت بعد علوه، ويُستخدَم لإتمام الحديث، فيعرف المتلقي لحظة السماح له ببدء الكلام، ويكون هذا التنغيم في الجمل الخبرية؛ ورمزه:

2- **التنغيم المنخفض العالي The low rising Tone**: ويبدأ بدرجة منخفضة بعض الشيء، ثم يعلوها ارتفاع ملحوظ، وهذا التنغيم دال على الاستفهام؛ ورمزه:

3- **التنغيم العالي المرتفع The high rising Tone:** ويُصدَر عاليًا ثم يرتفع أكثر وأكثر بشكل تدريجي، ويُستدَل من خلال هذا التنغيم على حالة التعجب والاستنكار؛ ورمزه:

4- **التنغيم المنخفض المتميز The fall rise Tone:** وهو يبدو خافتا من بدايته حتى نهايته بشكل جلي، وهذا التنغيم لا يستلزم انفعالاً أو إثباتًا؛ ورمزه:

5- **التنغيم المرتفع المنخفض المرتفع The high low high rising Tone:** ويظهر التنغيم في التعبيرات الانفعالية والمتذبذبة بين ارتفاع للصوت ثم انخفاضه؛ ورمزه:

ويمكن التطبيق على تمايز معنى الجملة باختلاف تنغيماتها من خلال مثال: (نجحت فاطمة في الاختبار)، فالناطق لهذه الجملة إن بدأها بعلو ثم هبوط لصوته؛ ستدل الجملة على الإخبار، وتحتمل الصدق أو الكذب بتحقق النجاح من عدمه، وإن بدأها بانخفاض ثم علو؛ فإنها ستدل على معنى الاستفهام، وإذا كانت بالاتجاه ذاته؛ أي انخفاض ثم علو مع امتداد لأصوات الكلمة الأخيرة؛ فإنها ستشير إلى معنى التعجب أو الاستفهام الاستنكاري.

أما السامع إن طرح أسئلة على المتكلم حول الجملة المذكورة أعلاه؛ فإن استفهامه سيشير إلى دلالات مختلفة؛ فإذا سأل: (هل نَجَحَتْ؟)، فإنه يطلب إعادة الجملة للتأكد من تحقق الفعل، وإذا سأل: (من التي نَجَحَتْ؟)، فإنه يرغب بالتأكد من الفاعل وتعيينه، أما إذا سأل: (نَجَحَتْ؟)، فإنه يطلب التركيز على الفعل والتعجب من نجاح الفاعل، وهذه الانطباعات الدلالية تؤكد وظيفية التنغيم في المنظومة التواصلية.

المبحث الثالث/ مستويات الأنماط التنغيمية:

النمط لغة: طريقة وأسلوب وشكل، أو مذهب مميّز لفرد أو جماعة، وهو الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء[4]، والأنماط التنغيمية نقصد بها اصطلاحًا: طرائق الأداء الصوتي في العملية التواصلية ودلالاتها، وبالرغم من عدم قدرتنا على الإحاطة الكاملة بهذه الطرائق؛ إلا أننا سنقتصر على ما يوافق حدسنا اللغوي، والمتعارف عليه لدى أبناء العربية، ولا بد أن يكون الحكم فيه على من يُحسِن الأداء الكلامي، وهو أمر لا يتأتى إلا باتباع منهجية اللغة وسنن أهلها.

والأنماط التنغيمية بين الصعود والهبوط على مستويات مختلفة، ولعل أبرزها: (نغمة صاعدة- نغمة مستوية- نغمة هابطة)، النغمات الصاعدة تكون في دلالات: (الأمر، النهي، النداء، التنبيه، التنمّر، الاستفهام، التعجب، الترغيب، الغضب، وغيرها)، والنغمات الهابطة تنساق في دلالات: (الحزن، الأسى، الأسف، التمني، الترجي، التهكّم، وغيرها)، والنغمات المستوية تندرج في دلالات: (الإخبار، التقرير، الإثبات، النصح، الإرشاد، وغيرها). والتنغيم على نوعين؛ النوع الأول: يتحدد من خلال نهايات الجمل، فهي إما بين صعود أو هبوط أو استواء إيذانًا بانتهاء الكلام، والنوع الثاني: يتعلق بالنطاق الداخلي للمقولات التركيبية، حيث تنتظم التنويعات الصوتية بتنقلات داخلية

مختلفة؛ ومنها: صعود فهبوط فصعود، أو هبوط فصعود فهبوط، أو صعود فاستواء فهبوط، ... إلى آخره، فهذه التنويعات تؤثر في تعدد الاحتمالات النحوية والتوجيهات الدلالية.

المبحث الرابع/ مصاحبات التنغيم في الأداء الكلامي:

يُضبَط التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية بمجموعة عناصر، لها صلة مباشرة بالأداء الكلامي، وهي إما ذات ملامح صوتية أو غير صوتية، وتشكّل مجتمعة المعالم العامة لظاهرة التنغيم في الكلام.

أولا/ العناصر الصوتية:

1- **الضغط**: ويُعرف بـ"**النبر Stress**"، ومعناه أن مقطعًا من بين مقاطع متتابعة يُعطَى مزيدًا من العلو والارتفاع الصوتي، فالسلسلة الكلامية من الأصوات والمقاطع تتباين في الأداء النطقي، وكيفية النَّفَس، وقوة الضغط؛ وذلك بما يستدعيه الموقف الكلامي ومتطلبات السياق العام، وهذه التشكيلات الصوتية المُحدَثة تكشف عن مقاصد المتكلم من العملية الكلامية.

2- الوقف: يُقصَد به انقطاع أو صمت للنَّفَس، يسبقه انخفاض في الصوت، وهو على أنواع:

أ- الوقف الكلي Complete Pause: يكون متممًا للجملة الاستفهامية أو التعجبية أو التهكمية، ويكون مسبوقًا بصعود للتنغيم، يليه وقف نهائي؛ ودرجته التنغيمية:

ب- الوقف الساقط Falling Pause: يكون مسبوقًا بهبوط للتنغيم، وهو وقف متمم للجمل الخبرية التي تحتمل الإثبات أو النفي؛ ودرجته التنغيمية:

جـ- الوقف الجزئيPartial Pause : يكون اعتراضًا ينجم عن عدم القدرة على استكمال المقول لغاية ما، أو التردد في التعبير الشفاهي، أو الخوف من مواجهة الطرف المقابل. وقد يُستأنَف الكلام بعد هذا الوقف، وقد يُنهَى ناقصًا؛ ودرجته التنغيمية في كلتا الحالتين:

ما عرضناه من أنواع الوقف كان على سبيل المقاربة والاستشفاف، لا الضبط والإحكام، لأن مسألة رصد الدرجة التنغيمية وتوقيفها يعتمد على عوامل مختلفة، والحكم عليها يصدر بناء على سنن تواضع عليها أهل اللغة، وحدسهم اللغوي يقودهم للاسترسال في الكلام، أو استيقافه، أو استئنافه.

3- **الوصل والفصل:** من خلالهما نتعيّن مواقع الجمل، ومواضع الدرج والوقف فيها، وماذا يُصنع فيها من العطف أو الاستئناف، وإيقاع ذلك على الأذن والتماس الدلالة منها. والوصل يجيء لعقد صلة بين جملتين بينهما توجد مناسبة حتمية في الدلالة، والاختلاف الحاصل يكون في اللفظ لا المعنى المعوّل عليه. أما الفصل فهو ترك هذا العطف، والمجيئ بجملة مستأنفة عما قبلها، لأنهما متحدتان في الصورة والمعنى؛ ومن أمثلة الوصل في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/ 119]، فقد عُطِفَت الجملة الثانية على الأولى لاشتراكهما في الحكم، ومثال الفصل: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[فصلت/ 34]؛ حيث فُصِل بين الجملتين المخطوطتين لاختلافها في الموضع. ولا شك بأن الفصل والوصل أدخل في الجانب التنغيمي، وهما يحكمان انسيابية الحديث من عدمه، ويختصان بطبيعة التوافق والاختلاف بين اللفظ والمعنى.

4- **المد**: طول الأصوات فيه ما يدل على المعاني النفسية، ويذكر إبراهيم أنيس فائدة: أن "لطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقًا صحيحًا... بل إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية... أما العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي، فأهمها: النبر، ونغمة الكلام، وربما كان لنحو اللغة أثر أيضًا في طول الصوت أحيانًا"[(5)].

5- **المقطع**: المقطع جزء منطوق من أجزاء الكلمة، ينتج عن إخراج دفعة هوائية من الرئتين، بحيث يقف النَفَس في نهاية الصوت الأخير منه، والمقطع إما ينتهي بإغلاق تام لجهاز النطق أو إغلاق جزئي، وقد ينتهي بحركة قصيرة؛ كصوت الباء من الفعل (كتب) = (ك ـَ/ ت ـَ/ ب ـَ)، أو بحركة طويلة؛ مثل (لا) = (ل ـَ ـَ)، فالمقاطع تتباين في الطول والقصر والانغلاق والانفتاح، والنسيج المقطعي في العربية يحمل دلالات مختلفة، ويؤثر في فهم السامع، وبحكمه في جودة الأداء وحسن النطق.

6- **الإلقاء**: التنغيم قد يكون أبلغ من الترقيم في إيصال المعنى، فهو يختص بالكشف عن الأداء النطقي والإلقائي لأجزاء الكلام وتركيبه، ويكفي السامع الإصغاء إلى أداء المتكلم ليتبيّن مقاصده ومشاعره، فلو كان المتلقي في موقف سماعي سيدرك قصد المتكلم من درجة

صوته، أما إذا كان في موقف قرائي سيلتبس عليه فهم هذا المقصد؛ فعندما يطرح الطرف الأول السؤال: (كيف حالك؟)، قد يجيب الطرف الثاني: (الحمد لله)، وذلك لأن في النص الكتابي لا نميز إن كان المجيب في مقام فرح أو ترح، أما إن كان المقام التواصلي شفاهيًا؛ فإن الأمر سيكون سهلاً لإدراك مقصديته، ويمكن الكشف عن حالته الشعورية بشكل أوضح إن كانت الإجابة: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)، فهذه الجملة متعارف عليها أنها تُقال في مواضع الإنجازات المفرحة، ونتبين منها أن الشخص مبتهج إلى ما آل إليه من الخير والمنة، أما إن اُستكملت المقولة: (الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه)، أو (الحمد لله على كل حال) ستَؤُوَل المقولة إلى إنه في مقام حزن أو حسرة. وهو ما أكّدنا عليه في حديثنا عن المعاني الوظيفية التي يؤديها التنغيم. ويستعاض في المدونات برموز إسنادية داعمة لعلامات الترقيم، التي قد يعتريها النقص واللبس في إيضاح المقاصد، فيلجأ الكاتب للرموز التعبيرية في الكتابة الرقمية، والتي تُسمَّى إيموجي Emoji.

7- **الإيحائية**: تتمايز الأصوات في خصائصها من حيث صفات الجهر والهمس والاحتكاك والإطباق ...، كذلك تختلف في مخارجها؛ فمنها الأسنانية ذات الصفير، والحلقية ذات الغلغلة، والشفهية أو الأنفية ذات الاحتباس الصوتي، "فالمعروف أن بعض الأصوات وبعض التراكيب الصوتية ذات قوة تعبيرية عن المعنى، وملائمة لهذا المعنى بوجه خاص؛ وهذا هو معنى رمزية الأصوات"[(6)].

ثانيا/ العناصر غير الصوتية:

1- **وظائف الأعضاء**: تتعلق بإنتاجية الصوت وعلاقته بالجانب الفسيولوجي وأعضاء الكلام، وتتبع العمليات الفسيلوجية تغيرات صوتية، ترتبط بتذبذب الوترين الصوتيين، والتنغيم الحاصل يرتبط بالوحدات الأكبر من الوحدات الفونيمية، ويسهل تمييزها على نطاقي الجملة أو الكلمة، أما ما دونها فيصعب تمييزه.

2- **قصد المتكلم:** يقوم القصد بدور محوري في إنتاج الملفوظات وتأويلها، وذلك باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يصرّح بما يريده، مما يلزمنا أن نبحث في كلامه عما يوضحه بالتلميح أو الالتواء بالتصريح، ويتعلق المقصد بما يدور في ذهن المرسِل أثناء تلفظه في العملية الكلامية، وبما يحفزّه على إجراء العملية التبليغية، سواء أكان يرتبط بملفوظاته أم لم يرتبط. والقصد على نوعين: (إخباري) يكمن في رغبة المتكلم في إظهار ما يرمي إليه للمخاطب، و(تبليغي) يعلن فيه المتكلم عن حقيقة قصده.

3- **إدراك المتلقي:** يشارك المتلقي في عملية تأويل مقصد المتكلم، وفك رمزيات مقوله، ومعرفة الظروف التي أسهمت في إصداره، والتحرر من خطابه المباشر إلى الإمعان فيما وراءه من

مقاصد، والابتعاد عن النظريات الشكلية للخطاب، واللجوء إلى معرفة الروابط بين عناصر الكلام وما يحيط به، والخروج عن الدلالة الظاهرة، فإن كان التأويل عن القصد جاز أن يخرج القول عن مضمونه.

4- **الحالة النفسية:** تشير حقائق علمية إلى وجود علاقة طردية بين صوت المتكلم والحالة النفسية، التي نستشعرها من نبرة صوته، وهذه الحقيقة تثبت على الأشخاص في حالتهم الطبيعية لا المرضية، وللعامل النفسي أثر في اضطراب وظيفية الصوت، فقد يكون اختلاله – كالبحّة الصوتية- متزامنًا مع إصابة الفرد بحالة الاكتئاب أو القلق، أو راجعًا إلى سوء استخدامه بالصراخ، أو إدمانه على التدخين...إلخ. وقد أشار ابن سينا إلى أن للتنغيم وظيفة تمييزية باعتبار الدلالة الإبداعية، فمن خلاله نميز بين الجمل بطريقة نطقها إن كانت نداءً، أو تعجبًا، أو سؤالاً، وكانت له رؤية تنظيرية وتطبيقية لمفهوم التنغيم، وقد أخضع هذه الظاهرة للبحث العلمي، حيث تناول وصف الأصوات ومخارجها وكيفية إصدارها وتبايناتها، ومرجعية ذلك لوصف عوالم النفس البشرية، والإفصاح عما في دواخل النفس من انفعالات شعورية، لها أثرها في كيفية النطق والتنغيم ومقصديته عند المتكلم[7].

5- **السياق والموقف الكلامي:** نظرية مبنية على قناعة أنصارها بوجوب الاهتمام بالتحليل اللغوي، من خلال توزع العناصر اللغوية في السياق، وهي نظرية نادى بها أفراد المدرسة اللغوية البنيوية، الذين يدرسون العلاقات التجاورية والتبادلية بين العناصر في البنيان اللغوي، ودراسة الصلات اللغوية ذات التوجه التركيبي والمصاحبات اللفظية. وإن تحديد الدلالة وفق مبدأ التوزيع؛ له فاعليته في الكشف عن الدلالة المعنوية التأويلية، التي تعتمد على ما في نسيج اللغة من علاقات داخلية، وما في اللغة من خصائص وسمات تقبل الملاحظة[8]، ولعل أبرزها ما يتعلق بالتنغيم الذي هو مادة دراستنا للبحث.

6- **الحركات الجسمية:** حركات الجسم وملامح الوجه تُعَد تعبيرات غير لفظية Non- Verbal Expressions، وهي من مصاحبات التنغيم ومناظرة له في الإفصاح الدلالي، وتقوم بوظائف لغوية مختلفة؛ منها: التكرار Repetition وتعزيز الرسائل اللفظية، أو تدل على معنى التناقض Contradiction وإنكار الملفوظات، وقد تقوم بوظيفة الاستبدال Substitution وإدخال رسائل غير لفظية محل اللفظية، كما تقوم بوظيفة التأكيد Accentuation والإثبات، وتؤدي دور التكملة والتعديل Supplementation /Modification بتغيير الكلمات المصاحبة لها بشكل طفيف، كما تُسهِم بعملية التنظيم Regulation والسيطرة على تدفق الرسائل اللفظية[9].

المبحث الخامس /علاقة التنغيم بالنحو والدلالة:

للتنغيم علاقة مباشرة بالمستوى النحوي والدلالي، حيث يقوم بدور فاعل في بيان دور العناصر النحوية في التراكيب، والإفصاح عن دلالاتها؛ فكلمة (نعم) أو (لا) أو (الله) تتباين معانيها باختلاف تنغيمها، فقد تكون دالة على الاستفهام أو الإثبات أو النفي أو الاستنكار أو التعجب، وغير ذلك، كما يكشف التنغيم عن الحالات النفسية المختلفة للمتكلم. والجمل قد لا تتعرض في بنيتها التركيبية للتغيير من زيادة أو نقص أو تبديل أو تحوير، إنما التغير كائن في تنغيم الأصوات وملامح الوجه وحركات الجسم، التي تُعتبَر من القرائن الحالية[10]، والتنغيم له دور في البناء النحوي والتوجيه الدلالي.

أولا/ بناء المقولات التركيبية:

"المَقْوَلَة (Categorization) في اللغة تكون إما معجمية تُجرَى على مكونات المعجم، وهي الوحدات المعجمية؛ باعتبارها أدلة لغوية ذات تأليفات صوتية وأبنية صرفية ودلالات معجمية قابلة للتصنيف أو التجميع في مقولات عامة، وإما نحوية تُجرَى على المفردات أيضًا لكن باعتبارها ذرات تركيبية؛ أي تجرى عليها وهي مندرجة في التراكيب النحوية، لها وظائف ومواقع وحالات إعرابية، بحسب ما تعبّر عنه أو ترتبط به في التركيب من مقولات"[11]، والمؤدى الوظيفي للتنغيم الذي يقوم على الجانب التركيبي يتعلق بالمستويات البنيوية الآتية:

1- البناء الظاهري والإشاري للتراكيب النحوية:

لعل سيبويه هو أول من أشار إلى ظاهرة التنغيم وربطه بالموقف الكلامي، وعلى ضوء دراسة له استطاع أن يوجد علاقة بين تركيب الجملة والمعنى الإشاري لها؛ ففي جملة (ما أتاك رجل) عبرت الجملة في النطاق النحوي عن العدد والجنس، وفي النطاق الدلالي تدل على أكثر من معنى وفقًا للتنغيم المصاحب للنطق، ويكون مقصد المتكلم واضحًا لدى السامع، حيث ذكر في هذا المقام "يقول الرجل أتاني الرجلُ، يريد واحدًا في العدد لا اثنين فيقال: ما أتاك الرجل، أي أتاك أكثر من ذلك"[12]. كما أشار سيبويه إلى قيمة التنغيم في التمييز الدلالي للأنماط التركيبية، ويضرب على ذلك مثلاً قول جرير:

أَعَبْدًا حَلَّ في شُعَبى غريبًا أَلَوْمًا لا أبا لك واغترابًا.

فقد رأى في تفصيله للتركيب النحوي بأنه على توجهين دلاليين، حيث يقول في ذلك: "وأما عبدًا فيكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله: أتفخر عبدًا، ثم حذف الفعل"[13]، وهذا ما يؤكد حقيقة الاحتمالية الدلالية للتراكيب النحوية، ويثبت تنظيرنا بأن لها بناءً

ظاهريًا وإشاريًا، وهو ما ذهب إليه البنيويون في البناء السطحي Surface Structure والبناء العميق Deep Structure.

2- تحديد العناصر المكونة للجمل:

يحدد التنغيم مواقع الألفاظ، وطبيعة العلاقة بين عناصر المكوّن النحوي، ويكشف عن المحذوف منها. ولابن جني إشارات نابهة إلى قيمة التنغيم في الدلالة، واعتباره قرينة لغوية تكشف عن المحذوف، الذي يدل عليه الإصغاء والمقام ومدود الأصوات. وقد عرض ابن جني هذا التنظير بالتطبيق على حذف الصفة؛ حيث أشار: "وقد حُذِفَت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سِيْرَ عليهم ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حُذِفت فيه الصفة لِما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك"[14]، ففي الجملة دلّ ابن جني إلى وجود حذف لجزء منها، كما أن له التفاتة يقظة في هذا الصدد؛ بأن جعل الضغط على جزء من الكلام إشارة إلى محذوف فيها؛ حيث ذكر في هذا المقام مثالاً؛ وهو: "كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمْحًا أو جوادًا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لِحَزًا أو مبخلا أو نحو ذلك"[15].

فعمليتا مد الكلام أو الضغط على أجزاء معينة فيه تتخذان منحى تنغيميًّا خاصّا، يشير إلى بعض المقاصد غير المصرح بها في الكلام، ولكنها واضحة من حيث النطق، وذلك بما يتناسب مع سياق الحال والموقف الكلامي، ويضرب تمام حسان مثلاً على الوظيفة النحوية للتنغيم بجملة (أولئك الرجال المناضلون)، فقد تكون (أولئك الرجال) إما عنصرًا واحدًا مبتدأ (مبدل منه وبدل)، و(المناضلون) خبره، فإذا وقفنا على (أولئك) بمفردها كانت مبتدأ و(الرجال) خبرًا و(المناضلون) نعتًا، وما أحدث هذا التغيير في الإعراب والعناصر النحوية إلا التنغيم[16].

3- الرمز إلى الأدوات النحوية المحذوفة:

يأتي التنغيم فاصلاً في تحديد الدلالة القطعية للأسلوب النحوي، الذي قد يأتي مجردًا من بعض الأدوات النحوية المفصلية؛ فيركّز على عنصر نحوي دون غيره، فإذا قلت لشخص ما تكلمه ولا تراه: (أنت زيد) فهم السامع إن كنت تتعجب أو تستفهم أو تستخبر. والتنغيم يقوم مقام الأدوات النحوية إن سقطت سهوًا أو حُذِفَت عمدًا من الجملة، وذلك من خلال الارتكاز على التنغيم والنبر وطريقة تنظيم التركيب؛ فمثلاً في الجملة النحوية (سافر الرجل إلى مكة البارحة) يظن

القارئ لها بأنها أسلوب خبري، في حين يميز السامع بين تنغيماتها المختلفة؛ فإذا كانت النغمة هابطة ثم صعدت دلت الجملة على الأسلوب الاستفهامي؛ حتى وإن كانت أداة الاستفهام محذوفة، كذلك يمكنه أن يحدد نوعها، وذلك بتركيز السامع على موقع الكلمة المنبورة، حيث تُستفهَم بطرائق مختلفة؛ ويمكننا تفصيل ذلك على النحو الآتي:

الكلمة المنبورة عند المتكلم	أداة الاستفهام المحذوفة	استجابة السامع للتنغيم
سافر = الحدث	ماذا	طلب إعادة الجملة
الرجل = الفاعل	مَنْ	التأكد من القائم بالفعل
مكة = المكان	أين	تعيين الوجهة المكانية
البارحة = الزمان	متى	تحديد الظرف الزماني

4- التمييز بين الأساليب النحوية المختلفة:

تدل التراكيب النحوية وفق سياقها النطقي على دلالات مختلفة، فلا نكاد نميّز بينها إلا بالاستناد على تنغيمها، فنفرّق بين (الأساليب الخبرية أو الإنشائية)، و(التحذيرية أو الترغيبية)، و(المثبتة أو المنفية)...إلى آخره، وبتطبيق تنغيمات مختلفة على المثال السابق نخرج بدلالات أخرى؛ فالجملة ذاتها قد تختلف دلالاتها عن الأسلوب الاستفهامي، مع تشابه نقطة انطلاق النغمة من هبوط إلى ارتفاع؛ بحيث يصاحب هذا الصعود مد لأصوات الكلمة الأخيرة، حينها سيدل التنغيم على التعجب، أما الجملة الخبرية فتنطلق بشكل متساوٍ أو عالٍ إلى حد ما، ثم الانتهاء بالهبوط. وأما إذا كانت الجملة بكل عناصرها منبورة مع استواء تنغيمها؛ فإنها تدل على التأكيد. فموضوع اشتقاق الدلالة من التراكيب يعتمد – في المقام الأول - على طريقة التنغيم، واتجاه النفس، وحركات الارتفاع والهبوط والاستواء.

5- أداء دور علامات الترقيم:

اتجاه النفس من حيث الصعود والهبوط والاستواء- كما ذكرنا- يدل على دلالات مختلفة، وقد يقع اللبس في فهم دلالة بعض الجمل إن كانت مجردة من علامات الترقيم؛ فإذا تصورنا موقفًا كلاميًّا دائرًا بين مرسل ومتلقٍ، وردّ الثاني على الأول: "لا جُزيت خيرًا"، سيلتبس الأمر على الطرف الأول؛ وذلك إن كان التواصل بينهما كتابيًا، ولم يكن هناك فصل بين الكلمات المذكورة بعلامة الفاصلة (،)، وذلك بين الأداة (لا) والجملة (جزيت)، وعليه ستؤول الجملة بالدعاء على الطرف الأول. أما إن وُضِعَت الفاصلة بينهما؛ فستكون (لا) نافية لأمر مسبوق، والجملة بعدها مستأنفة، فتكون بمعنى الدعاء له لا عليه، وشتان ما بين المعنيين! وينطبق ما ذكرناه – أيضًا - على جملة (لا بارك الله فيك).

أما في الاتصال المنطوق فسيدلّ التنغيم على أداة الترقيم المحذوفة، ويشير إلى مواضع الوصل والفصل، ويحدد مواطن وقف الكلام أو استئنافه، وعلى ضوئه يدرك المخاطَب إن انتهى الكلام، أو سيُستكمَل. أما في الاتصال المكتوب فلا يُستغنَى عن علامات الترقيم، ولا بد من أداة مائزة لضمان أمن اللبس في إدراك المعنى المراد، وذلك باطراد ذكر الأدلة القطعية على ما نعتقده ونقصده. ووفقًا لما ذكرناه في التعدد التنغيمي للمقولات التركيبية؛ تتعدد كذلك الاحتمالات الدلالية لها، فحركات الصعود أو الهبوط أو الاستواء أو التذبذب لها أثرها الجليّ في تعدد الأبنية النحوية وتوجيهاتها، ويغيب عن كثير من الدراسات اللغوية دور التنغيم في البناء النحوي للغة، فالتنغيم يعد قيمة استبدالية راجحة للكشف عن مقصدية المتكلم، وذلك عند تعدد الاحتمالات، ويتجلى دوره الفاعل في التفريق بين أنماط الجمل النحوية وأغراضها اللغوية.

ثانيا/ موجّهات التنغيم في دلالة التراكيب:

الموجّه من توجيه الشيء؛ أي جعله على جهة ما فيستقيم، والأصل في الوجه المقابلة، فمواجه الشيء ما يقابله، قال ابن فارس (ت395هـ)، "الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء ....، ووجهت الشيء: جعلته على جهة ..."[17]، وتوجيه الأمر على جهة أخرى حتى يستقيم له وجه حسن، وهذا ما يحدث مع القراءات القرآنية ورواية الشعر، فالموجه يقلّب النص الذي أمامه حتى يستقيم. ونقصد بموجهات التنغيم ما تشير إليه من دلالات تتوافق مع ضوابط اللغة، واستنطاق ما يكمن في الأداء الكلامي لدى مستعمل اللغة، بحيث لا تخرج عن موافقتها لسنن العرب في الكلام، ولا تتعارض مع القواعد الأصيلة للغة العربية، وإن استصعب إدراك المنحى التوجيهي للدلالة، وحار المتلقي بإدراك مقصدية الكلام من الأداء - يُصار إليه من جهة أخرى موافقته للعُرف والحدس اللغوي لدى أبناء اللغة.

وإن لمد الصوت وتطويله دورًا في توضيح الدلالة التي يقصدها المتكلم، وقد يغيّر مسارها إلى وجهة أخرى، حيث ذكر ابن جني حادثة في التراث العربي القديم بـ: "أن رجلاً ضرب ابنًا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك، فيرافعها إلى القاضي، فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك. فقد مدت فتحة النون جدا، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل، والأمر يذكر للأمر على تقاربهما، أو تفاوتهما إذا كان ذلك للغرض موضحا، وإليه بطالبه مُفضيًا"[18]، فلو كانت كلمة (ابنك) دون مد؛ فإنها ستفيد التأكيد على أنه ليس ابنه فعلاً، أما إذا مُدّت النون؛ فإن الدلالة ستفيد التعجب أو الاستفهام الاستنكاري؛ بمعنى كيف يفعل ذلك وهو ابنه؟! وذلك على سبيل اللوم والتوبيخ.

يُعَدُّ التنغيم المفصل في تحديد الوظائف النحوية للمقولات في السياق، فقد نجد أن الجملة الواحدة تُنطَق بأكثر من درجة تنغيمية وبدلالات مختلفة، كما قد يُضاف أحد العناصر النحوية فيُغيِّر مسار دلالة التركيب النحوي، وتبدو هذه الوظائف جلية في الجمل الاستفهامية ونظائرها من الجمل الشرطية والجمل المنفية، وأساليب الإغراء والتحذير والتخصيص؛ ومن أبرز دلالات الأساليب:

1- **أسلوب الأمر**: الدرجة التعجبية في الأصوات تشبه - إلى حد ما - ما سنذكره في دلالة الاعتراض، ولكن الدرجة التنغيمية تصدر من المتكلم لا المخاطب، وهي تشبهها في العلو والحدة للإنباء بالطلب، وهو خطاب موجّه من ذات أعلى إلى أدنى؛ كخطاب الرئيس للمرؤوس، والكبير للصغير. أما الأمر إذا كان من الذات الأدنى إلى الأعلى - كخطاب العبد لربه - فإنه يسمى دعاء؛ نحو: (ربي اغفر لي وارحمني)، ودرجته التنغيمية منخفضة، وفيها نوع من التوسل لله تعالى أو الاعتراف بالذنب. في حين لو كان الأمر من ذات موازية لأخرى كما بين الأتراب - فإن الدرجة التنغيمية لصيغة فعل الأمر تدخل فيما يسمى بمفهوم (الالتماس)؛ وبناء على ما ذكرناه من الدرجات التنغيمية ندرك طبيعة العلاقة بين المتحاورَيْن.

2- **أسلوب الاستفهام**: قد يأتي الاستفهام مزودًا بالأداة الاستفهامية أو مجردًا منها، فيسهم التنغيم في تحديد دلالته، فلو كان الأسلوب الاستفهامي متصدرًا بأداة الاستفهام لكانت النغمة صاعدة ثم هابطة، وذلك للتركيز على أداة استفتاح الكلام بالاستفهام لتوضيح غاية الكلام؛ نحو: (هل فعلت ذلك؟)، فإن علو الصوت سيتضح في كلمة (هل)، ويستمر صعودًا إلى كلمة (فعلت)، وهذا الصعود يكون بالقدر الذي يوضح حقيقة الأسلوب النحوي، مما يُحدث تركيزًا على الحدث التواصلي، ثم يهبط الصوت انتهاءً بكلمة (ذلك). وأما إذا كان الاستفهام مجرّدًا من الأداة؛ كما في قولنا: (فعلتَ ذلك عمدًا أم عن غير عمد) - فإن اتجاه النغمة سيبدأ هابطا وينتهي صعودًا؛ ليظهر أن القصد منه طرح سؤال وانتظار إجابة، فالضابط لهذه الدلالة هو النغم الصاعد، الذي يُخرج الجملة من حيز الإخبار إلى الاستفهام؛ كما في قولنا: (هل يمكنك مساعدتي؟)، فهذه الجملة لا يَسأل المتكلم فيها المخاطَب عن شيء يجهله، بل تخرج إلى دلالة الطلب، بما يخدم الوظيفة التواصلية، فتتخذ الجملة تنغيمًا هابطا شأنه شأن الجملة الخبرية.

3- **أسلوب النهي**: أسلوب النهي من الأساليب الإنشائية، وله درجة تنغيمية خاصة تختلف عن درجات سوابقه، فالنهي يستلزم التوقف عن فعل ما أو أسلوب غير إيجابي، والحد من مزاولته أو تكراره، ويتطلب طاقة في إخراج النفس عند التحدث طلبًا للتوقف عنه، لذلك يبدأ

أسلوب النهي بطبقة عالية، وينتهي بدرجة العلو نفسها؛ ومن أمثلة النهي (لا تعصِ الله)، و(لا تهمل دروسك).

4- **أسلوب النداء**: تُستهل جملة النداء بأداة أو اسم؛ مثل: (يا محمد)، أو (محمد)، وإذا كانت مجردة من أداة النداء فإنها تستلزم خصائص صوتية معينة مؤدية لها؛ نحو: الشدة والامتداد والطول والحدة والطاقة الانفعالية؛ ففي جملة (يا رجل تُبْ إلى الله) نتصور جزأين لجملة النداء؛ أحدهما: الصدر (يا رجل) ونغمته التعبيرية أعلى من الجزء المكمل له، الذي يتمثل في جملة (تُبْ إلى الله).

5- **أسلوب الاعتراض**: في الحوار التبادلي بين طرفي العملية الكلامية، قد يستوقف المخاطِب المتكلِّم، فيحاول أن يُقحِم نفسه في الحديث، وذلك للتعليق أو التعقيب أو الاعتراض على ما يقوله، مما ينتج عنه ارتفاع في حدة الصوت لأجل الهيمنة على سير الحديث، وإظهار مدى الإصرار على ما يقوله، ليقرّ به.

6- أسلوب التعجب: التعجب له صيغ كثيرة؛ منها ما هو سماعي أو قياسي، فأما السماعي نحو قولنا: (سبحان الله!) أو (لله دره فارسًا)، وأما القياسي فهو على صيغتين –وفقًا للعرف النَحْوي- (ما أَفْعَل) و(أَفْعِل به)، وفيهما نتعجب من جمال الشيء أو قبحه أو ضخامته أو غير ذلك؛ ومن أمثلة الأساليب التعجبية القياسية قولنا: (ما أجمل السماء!) أو (أَعظِم بالفضيلة)، وهناك شروط تحكم صياغة فعل التعجب - ولا يسع المقام لذكرها - وأسلوب التعجب تعبير انفعالي يدل على الاستعظام أو الاستغراب أو الدهشة من شيء يُعتبَر نادر الحدوث، أو يكون تعجبًا من صفة ما، قد خُفِيَ سببها. وتنغيم الأسلوب التعجبي يشابه الاستفهام في نقطة انطلاق الصوت وانتهائه، حيث يبدأ منخفضًا وينتهي عاليًا، إلا أنه يتمايز عنه بمقدار المدود الحاصلة في نطق بعض الأصوات، فأسلوب (ما أجمل السماء!) نجد الإطالة الصوتية واضحة على صوت المد بالألف في كلمتي (ما)، و(السماء)، وهذه المدود تنقل لنا مقدار التعجب بطول سعتها وتذبذبها، كما نجد المُتعجِّب يستصحب تنغيمًا تصاعديًا حتى الانتهاء من الجملة، ليوحي بحالة الدهشة التي اعترته.

المبحث السادس/ التنغيم من منظور الأبعاد النفسية:

اللغة أبرز معالم السلوك الإنساني، وهي وعاء الفكر ومنطق القلب، يستطيع المتكلم من خلالها التعبير عن أفكاره ومشاعره، وإن طريقة كلام الإنسان وردود أفعاله وأقواله تتأثر بالعوامل النفسية، وذلك باعتبار أن اللغة لها جانبان - كما ذكر كمال بشر - الأول: جانب عضوي يتمثل في حركات أعضاء النطق في العملية الكلامية Articulatory Movements، والثاني: جانب نفسي ويظهر في الانطباعات النفسية المصاحبة للعملية الكلامية Auditory Impression[19]. وبالأخذ

بحقيقة أن اللغة لها علاقة بالإنسان؛ فإنها تخضع في تركيبها لما يخضع له الإنسان من عوامل نفسية.

وعندما يتكلم المرء تنساق أفكاره ومشاعره في قوالب لفظية، قد تكون ذات معنى مباشر وقطعي، أو غير مباشر وظنّي، والأصوات والمفردات والتراكيب ما هي إلا رمزيّات صوتية تترجم ما في الذهن، وتنساب على شكل منطوقات منقولة من خلال الموجات الصوتية. وإن للصوت كيميائية خاصة تعتمل في النفس البشرية، فتتفاعل لتُلقي تأثيرًا خاصًّا على المتكلم والمستمع، فالصوت كما عُرِّفَ في العلوم التطبيقية والمعرفية له تبعات نفسية، ولم يُولَ اهتمامًا مستفيضًا من البحث والدراسة، لما يدور في ذهن المتكلم والمستمع من أفكار ناجمة عن التأثيرات النفسية، حيث وجدنا التركيز قاصرًا على رمزية القول كمادة أولى للغة، والتركيز على المادية لن يجدي نفعًا في معرفة المقاصد الحقيقية للمتكلم، وقد كانت أغلب الدراسات موقوفة على مادية المنطوقات اللغوية، ودراسة قوائم العملية التواصلية التي تتمثل في عمليات الإصدار (المتكلم)، والانتقال (الوسيط)، والاستقبال (المستمع).

واللغة تعدُّ بنية تركيبية ذات مستويات، وهذا الانسياق المتوازن بين المستويات اللغوية له معنى، نستدل عليه من المصاحبات التنغيمية المتفاوتة بين قوة وضعف في الأصوات، ووقف يتمثل في الصوامت، ومد تحدده الصوائت، وما يساندها من مصاحبات من نبر وتنغيم، وذلك بما يتناسب مع مقتضيات الحال والمقام. وإننا لنجد في المدود المتواترة التنغيم العالي؛ كما يظهر في الأساليب الإنشائية (النداء، والنهي، والأمر، وغيرها)، أما التنغيم الهابط فيدخل افي الأساليب الخبرية (التأكيد، والتقرير، والإثبات، وغيرها).

إن التنغيم أداة تُفصح عن الحالات النفسية المختلفة التي تنتاب المتكلم، فنصدر أحكامنا عليها وفقًا للمتغيرات الموسيقية المصاحبة للكلام، حيث نستطيع استشفاف مشاعر المتكلم، إن كان فَرِحًا أو غاضبًا أو متعجبًا...إلخ، وهذه الوظيفة ليست ضمن المنظومة اللغوية المتعارف عليها، ولكنها أدخل ما تكون في مشاعر المتكلم ومقصديته من الكلام، لذلك نَصِف من تمتاز نغمة صوته بالطبقة العالية بالشخص الانفعالي أو الغاضب، ومن تمتاز نغمة صوته بالطبقة الهابطة ننعته بالشخص المتّزِن والهادئ. ولو تصورنا موقفًا تواصليًّا دائرًا بين مرسلٍ ومتلقٍّ، وطرح الأول سؤالاً ما، وأجابه الثاني بكلمة (نعم) مفردة أو مكررة أو مذكورة في سياق جملة؛ فإن طريقة تنغيمه للكلمة لها دلالات مختلفة، يستطيع الطرف الأول من خلالها تحديد الموقف الحقيقي للطرف الثاني، وبيان الدلالة النفسية التي تكتنفه، وذلك من خلال انطباعاته عن تنغيم الكلمة ذاتها؛ وهي تتمثل على النحو الآتي:

الدرجة التنغيمية	شكل النغمة	المعنى اللغوي	الدلالة النفسية
مستوية إلى هابطة		التقرير: أوافق.	موافق
مستوية		طلب الاستمرار: أنا منصتٌ لك.	مركّز
ملتوية		احتمال: ممكن أن يكون.	غير واثق
صاعدة		التأكد: بكل تأكيد، تمامًا.	متأكد، واثق من نفسه أو مما يقوله
هابطة إلى صاعدة		الاستفهام: أَعِدْ ما قلته.	متسائل، غير متثبت، مستنكر
هابطة إلى صاعدة جدًا	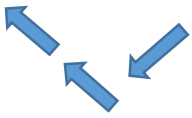	التعجب: أستغربُ من ذلك!	مندهش، غير مقتنع
عالية إلى صاعدة جدًا		الغضب: لماذا تسألني؟	غضبان
هابطة فصاعدة فهابطة فصاعدة		التضجر: لا أستطيع فهمك، أنت تزعجني.	مستهجن، متنمّر، منزعج، متوتّر

المبحث السابع/ التوجيه التنغيمي في الشواهد القرآنية والشعرية:

هناك عقد حاصل بين المقولات التركيبية والدلالات النفسية، ولا يمكن الفصل بين النحو والدلالة، فكلامها يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، لذلك كان البحث قائمًا على عقد الصلة بين هذين المستويين اللغويين وظاهرة التنغيم. وفيما يلي بعض من ضروب الأساليب النحوية القرآنية والشعرية، وسنقتصر على أساليب الندبة والنداء والاستفهام، التي نلتمس فيها قدرًا عاليًا من الانفعال وفق معيار التنغيم الصوتي:

1- تنغيم أسلوب الندبة والنداء: (الندبة) من الأساليب النحوية التي تُسهم في التعبير عن حالة الحزن والأسى، ولسيبويه وقفة دلالية نفسية في بيان نوع هذا الأسلوب، حيث قال: "اعلم أن المندوب مدعوٌ ولكنه مُتفجَّعٌ عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنما يترنمون فيها؛ وإن شئت لم تُلحِق كما لم تُلحِق في النداء"[20]. فأسلوب الندبة نداءٌ موجّه إلى المتفجع عليه أو منه، وفي اللجوء إلى المدود الصوتية ما يسمح باستطالة النَّفَسِ والتخفيف عن النَّفْسِ، وهذا هو (المكوّن التنفسي) الذي أشار إليه البحث ضمن ضوابط الدرجات التغيمية التي توصل إليها، "ولما كان المندوب ليس بحيث يسمع اُحتيج إلى غاية بُعد الصوت، فألزموا أوّله (يا)، أو (وا) وآخره الألف، في الأكثر من الكلام؛ لأن الألف أبعد للصوت، وأمكن للمد"[21]، وأسلوب الندبة باستخدام أداة (وا) وأسلوب النداء باستخدام (يا) متشابهان في اعتبارهما من المقاطع الطويلة المفتوحة، فالأول (وا)= (و ـَ ـَ)، والثاني (يا)= (ي ـَ ـَ)، إلا أنهما مختلفان في طول النَّفَس، فالنداء لا يستلزمه، كما أن الياء تعدُ أرق من الواو، التي فيها قوّة تُخرج ذلك النَّفَس، وتخفف عن النَّفْس وطأة التوجع والألم للمندوب؛ ومن شواهدها أبيات المتنبي في سيف الدولة الحمداني، عندما شعر بأنه يميل ناحية خصومه؛ فقال:

واحرّ قلباهُ ممّن قلبُهُ شَبِمُ ومَنْ بجِسمي وحالي عِندَهُ سَقَمِ[22].

ففي البيت شحنة انفعالية هائلة، حيث يتحسّر المتنبي على عواطفه الحارة، التي تنبعث من قلبه الملتهب تجاه من قلبه بارد، ولا يحفل به، ولا يُقْبِلُ عليه، وقد أفادت أداة (وا) معنى الندبة والتحسر، وفي بيت آخر له استخدم (يا) النداء، وهي تختلف عن (وا) التي ابتدأ بها أبياته؛ فقال:

يا أعدَلَ الناسِ إلا في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ[23].

حيث ينادي المتنبي سيف الدولة باستخدام (يا) النداء لبعده عنه بالرغم من محبة المتنبي له، فيعاتبه لأنه يَظلِمه بهذا التعامل، ويميل لخصومه، فاعتبره الخصم والعدل في آنٍ واحد، فهو بهذا يجمع بين النقيضين (العدل) للآخرين و(الظلم) له، كما استخدم أساليب نحوية أخرى لتحقيق هذا المأرب، عندما قدّمَ شبه الجملة (فيك) على المبتدأ (الخصم)، وفي هذا التقديم نوع من التخصيص والتوكيد على حكمه، وجملة (أنت الخصم) دالة على أسلوب القصر بتعريف المبتدأ والخبر، وهو ما يثبت حجّته. وقد جمع المتنبي في أبياته بين الأدوات والأساليب النحوية، التي لها تنغيمات خاصة لبناء مقوله؛ وذلك من أجل توجيه رسالة العتب لخصمه ومحبوبه؛ ليستجدي عطفه، فاستخدامه للنداء كان المدخل الثاني الذي يلج من خلاله لاستعطاف سيف الدولة، وتعَد الندبة خطابًا لذاته في التعبير عن وجعه وألمه، وأما النداء كان خطابًا لغيره الذي يرجو استعطافه، وفي هذا التنوع الأسلوبي انتقال جميل بين تنغيمات مدود الأدوات النحوية (وا)، و(يا)، وقد أبدع في إظهار صوتية مشاعره في تعدديته لصور الخطاب وصيغه.

وبتطبيق ضوابط التنغيم -التي توصل إليها البحث- على البيتين السابقين؛ يمكننا أن نستنطق دلالتهما، والانتقال بهما من الصورة المكتوبة إلى المسموعة؛ حيث بدا (المكوّن التنفسي) واضحًا في مدود أسلوبي الندبة والنداء، وهما يعبران عن عدم قدرة المتنبي على كتمان حزنه، وإخفاء لوعته من سوء تعامل سيف الدولة له؛ لذا حاول المتنبي اللجوء للمدود رغبة منه لتخفيف الضغط النفسي الذي اعتراه. وأما (المكوّن الاتجاهي) فتجلى في درجة الصعود العالية للأصوات عند استفتاح أبياته باستخدام (وا) الندبة أو (يا) النداء، وذلك في الشطر الأول من البيتين، ثم انتقل إلى هبوط انسيابي سريع لدرجة الصوت في الشطر الثاني لهما؛ حين ختمهما بالأسلوب الخبري. كما تضمن البيتان تلونًا متواترًا في تنغيم الأصوات، حيث تجلت الشدة في نطق الأصوات المتآلفة في الشطر الأول، ثم أُعقِبا بلين متزن، وترقيق لأسلوبية الخطاب الموجه للمندوب عليه، وهو ما أشار إليه البحث في (المكوّن الإيقاعي)، الذي جاء مصاحبًا (للمكون الامتدادي) والمتعلق بذبذبات الأصوات طوليا وترددها، وهذان المكوّنان يستلزمهما أي نظم شعري. وبالمقارنة بين أنواع الأصوات الموظفة في الشطرين، نجد غلبة الأصوات الصائتة والمقاطع الصوتية الطويلة في صدر البيتين، وأما الصامتة والمقاطع الأقصر مساحة فتكثفت في عجز البيتين، وهو ما أطلقنا عليه (المكوّن المساحي)، كما أسهمت المدود بعملية الوصل النطقي في الشطر الأول من البيتين، ثم تلاهما وقف عارض من خلال توظيف الجملتين الخبريتين المتواليتين في الشطر الثاني لكل منهما، وهو ما أسميناه (المكوّن العرضي). وعند نطق البيتين يظهر لنا علو نسبي في درجات أصوات الكلمات الأولى، وهو أمر يتطلبه أسلوبا الندبة والنداء، حيث يعكسان انفعال الغضب تجاه تلك المعاملة غير المنصفة، وهو ما يدخل في مجال (المكوّن الانفعالي). فهذه المكونات السبعة التي جاء بها البحث يمكن تطبيقها على أي نص؛ وذلك باعتبارها ضوابط تمكّننا من قياس درجات التنغيم، ونستنطق النصوص المكتوبة لتصبح نصوصًا مسموعة، فتعيننا على إدراك مقصد المتكلم، وتحقيق التأثير في المتلقي.

وقد استعان الشاعر بوظائف التنغيم لتوضيح مقاصده للمتلقي؛ ومنها الوظيفة التنظيمية للتنغيم الذي أسهم بصياغة أبياته في قوالب تركيبية وفقًا لأجناسها النحوية، حيث نُظِمت الأبيات في شطرها الأول في قوالب إنشائية طلبية، وصيغ الشطر الثاني بقوالب الأساليب الخبرية، والوظيفة السياقية للتنغيم اتضحت في إحاطته بالموقف الكلامي؛ حيث قصد المتنبي استجداء تعاطف سيف الدولة له، كما تحققت الوظيفة الإفصاحية للتنغيم حين أظهر الشاعر عواطفه الكامنة، ورغب في استمالة المخاطَب إليه، وهذه هي الوظيفة التأثيرية للتنغيم، وفي تنوعه الأسلوبي وتراوح الأساليب النحوية استطاع الشاعر استغلال الوظيفة الإبلاغية لإفهام المتلقي، وحقق من خلال الوظيفة الإقناعية للتنغيم إقامة الحجة على المقصود، ومن خلال الانتقال المتنوع - من وقف ووصل ومد - بين أجزاء الكلام ؛حققت الوظيفة التنظيمية للتنغيم الغاية من النظم الشعري.

2- تنغيم أسلوب الاستفهام: يعد الأسلوب الاستفهامي أحد أنواع الإنشاء الطلبي، وهو على نوعين: أحدهما حقيقي يتوخى صاحبه معرفة ما كان يجهله، والآخر مجازي يكون المستفهم منه عالمًا بما يسأل عنه، لكنه يجنح إلى معنى غير مباشر، يلتمسه المتلقي بمدارسة النص وتأمّله، وسبر ما وراءه من أبعاد دلالية، وما يعنينا من ذلك هو خروج الاستفهام إلى دلالات استلزامية، نفهم من خلالها سياق الموقف التواصلي، وقرائن الأحوال، ومقام المتخاطبين إن كان تقريرًا أو تأكيدًا أو إنكارًا أو استهزاءً أو تعجبًا أو تمنيًا أو استبطاءً ...، وسنلقي الضوء على بعض تأثيرات الاستفهام التوجيهية لفهم معناه المجازي، وذلك من خلال الشواهد القرآنية.

فالقرآن الكريم حافلٌ بالأساليب الاستفهامية، التي تخرج من إطار السؤال إلى غرض غير مباشر؛ كما أفاد الاستفهام معنى الوعيد في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [القصص/62]، فالقراءة القرآنية هي التي تحدد الدلالة المقصودة، لذلك اختلف المفسرون في توضيح الغاية من الاستفهام، ومرجع الاختلاف هو تعدد القراءات القرآنية، التي تتحدد بمقاييس تنغيمية للحركات والسكنات والمدود. ومن التوجيهات التفسيرية للآية أن الاستفهام أفاد معنى التهكم والسخرية من المشركين في عبادة للأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، حيث ذكر الطبري والقرطبي في تفسير الآية "أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، ما لهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محلٌ بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا، وتتولّونهم والولي ينصر وليه[24]. فالخطاب وفق هذا التفسير يتسم بطبقة تبدو عالية ثم تهبط بهذا الشكل: ()، وبقياس درجات التنغيم وتطبيق ضوابطها على الشاهد القرآني –وفقًا لهذه القراءة- نجدها تندرج في النوع الذي اقترح البحث على تسميته بالتنغيم المنخفض، حيث يبدأ الصوت عاليا ثم ينخفض تدريجيا. وإذا سارت القراءة في خط مستوٍ ثم هابط بشكل تدريجي؛ فإنها تدل على التوبيخ والتقريع، وجرسها القرائي على هذا النحو: ()؛ وهذا الاتجاه القرآني للآية يدخل في النوع الموسوم بالتنغيم المنخفض المتميز. فالأداء الجرسي للآيات له أثر في توجيه الدلالة، بحيث يكون لكل قراءة معنى مختلف عن الأخرى.

وفي كثير من الاستشهادات القرآنية والشعرية تخرج الأساليب الاستفهامية عن معانيها الحقيقية لمعانٍ أخرى، تُستفاد من سياق الموقف، ومقام المتخاطبين، وبناء المقولات التركيبية، وموجهات الدلالة التي تكشف عن مقصدية المتكلم، وذلك بما يتواءم مع المقال ومقام الاستعمال اللغوي، وهو ما يؤكد على أثر النمط التنغيمي في بناء المقولات التركيبية وضبط الموجهات الدلالية.

الخاتمـــة

اعتنى هذا البحث بدراسة مستويات الأداء الكلامي المنطوق، ووظيفية التنغيم في العملية التواصلية، وذلك باعتباره قضية صوتية لا تنحصر في اختلاف درجة الصوت؛ إنما تكمله عوامل مختلفة لبناء المقول وموجهات الدلالة، وقد تناول البحث التنغيم من حيث الجانب التطبيقي، وإجراء مقاربات موازنة بين شقّي اللغة المكتوب والمنطوق، وتحليل التنظيرات القائمة على التنغيم، حتى يضبط مساره بوضع قواعد تحكمه قدر المستطاع، والوقوف على المقومات الصوتية وغير الصوتية المصاحبة له، والتأكيد على أهميته في نطاقي التركيب والدلالة، وقد خلص البحث ببعض النتائج على ضوء ما تم استطلاعه في التراث العربي، واستشفافه في الدرس المعاصر:

1- التنغيم ركن أصيل في الأداء الكلامي، ويؤثر في تغيير مسار المعنى المباشر إلى غير المباشر الذي يقصده المتكلم، وقد يدركه المخاطَب أو يغفل عنه؛ إذا لم يمتلك أبجديات فك رمزيات التنغيم.

2- يشكّل التنغيم قيمة صوتية لها أثرها البائن في التحليل اللغوي، ولكنه كاصطلاح ومفهوم لم ينل حظه الوافر من البحث والدراسة، وما وصلنا لا يعدو أن يكون إشارات عابرة ومتناثرة في أمهات الكتب، أما أصحاب القراءات القرآنية فقد استلهموا بعض القواعد التجويدية، وهي أشبه ما تكون بترميزات تنغيمية، ولكن لم يُفصَل في مسألتها كقواعد بحث في الدرس اللغوي القديم. وأما اللغويون المعاصرون فقد نبهوا إلى قيمة التنغيم بوصفه موسيقى الكلام، ولم نجد دراسة لغوية دقيقة تضبطه بقواعد صوتية محكمة.

3- التنغيم يُعتبَر أبرز ظاهرة تعتور السلوك اللغوي لدى الإنسان، وله دور أدائي وانفعالي؛ لأن آثاره تظهر على اللسان الناطق بتغيرات صوتية استلزمتها الحالات الانفعالية، وهي تتخذ أنساقًا متعددة؛ لتبدي كل تنغيمة معنى انفعاليًا خاصًا تجاه فرد أو جماعة أو موقف أو موضوع.

4- علامات الترقيم ضابطة للتراكيب المكتوبة، ودرجات التنغيم ضابطة للتراكيب المقروءة، فالترقيم والتنغيم يرشدان للمعنى، ويدلان عليه، إلا أن اللغة المنطوقة أبلغ من المكتوبة في توضيح المقاصد الكلامية، والإفصاح عن البنى العميقة للملفوظات، كذلك لها قيمة تأثيرية في المتلقي، حتى تكاد تُسمِعه المعنى المراد، وذلك على خلاف اللغة المكتوبة التي لا يدركها القارئ الأصم.

5- التنغيم معيار صوتي يُستعان به للتفريق بين الأساليب النحوية، وبوصف التنغيم موجّها لمسار الأسلوب النحوي إلى غير دلالته الحقيقية؛ فإن التنغيم يعدُ أيقونة يُتحكَّم من خلالها بالأنماط

التركيبية في اللغة الكلامية، كما أن له دورًا انتقائيًّا للأدوات والعناصر النحوية المستخدمة في التراكيب اللغوية.

6- التنغيم بوصفه معيارًا تكوينيًّا في الصوت يرتبط بالتغيير النسبي فيه، لا الحقيقي الذي تحكمه اللغة، وهو تغيير حاصل في درجات الصوت لا لغرض جمالي أو لهدف ما؛ إنما يُستطاع من خلاله تمييز الدلالات النفسية المختلفة، التي تتوارى خلف السلوك اللغوي، فالتنغيم في حقيقته الصرفة ما هو إلا تعبير عن المعاني النفسية، التي آل إليها الاختلاف في ذبذبات الصوت وتردده ووقفه ووصله.

7- الأداء التنغيمي من أصعب المجالات طواعية للبحث والدراسة، وذلك لأنه يرتبط بالواقع النفسي للمتكلم، الذي يخضع لمتغيرات يصعب تحديد مسارها ودرجتها، وبالتالي يعجز الباحث عن وضع معايير ثابتة ودقيقة للمتغيرات الصوتية، ولكن ما أسسناه لا يخرج أن يكون مقترحًا لضبط العملية التنغيمية بمعايير معينة، يمكن الحكم عليها بالقبول المبدئي، وهو أمر يستلزم تضافر جهود مؤسسات ريادية، وإنشاء مختبرات صوتية وفقًا لمعايير علمية وعالمية لتقنينه والعمل به.

التوصيــات:

بالإمعان في موضوعات التنغيم بساحة البحث اللغوي؛ خرجنا بتوصيات من رؤى الدراسة:

1- في أمهات الكتب إشارات نابهة لأهمية التنغيم في تفسير المعاني اللغوية، وتوضيح ما يترتب عليه من تغيير في المسائل الإعرابية، ولكن لم تكن تلك الإشارات متناولة بشيء من التفصيل، بحيث تُضبَط آلية التنغيم كأداء صوتي، لذا علينا استثمار تنظيرات اللغويين الأوائل وإفاداتهم، وإخضاعها للجانب التطبيقي بما يخدم العملية التواصلية، لذلك تقترح الدراسة وضع بعض الضوابط لتقنين ظاهرة التنغيم، وفهم مراميه الدلالية، والإلمام بالعوامل المعيارية التي تجلّي صوتيته ومساره.

2- توجيه النظر إلى إخضاع موضوعات هذا الحقل المعرفي للبحث العلمي؛ من خلال استخدام المختبرات الصوتية لتحليل التراكيب المنطوقة، بحيث ينتج عنها آلية سهلة لتصنيف الأنماط اللغوية ومستويات الاستخدام اللغوي، وفيه ما يعين على قياس ذبذبات الصوت، ومستوى التردد، وسعة المدود.

3- معظم الدراسات اللغوية المختصة بالجانب الصوتي ركّزت على مادية اللغة ورمزيتها، ودراسة ما يتعلق بأطراف العملية التواصلية من إصدار (مرسل) وانتقال (وسيلة) واستقبال (متلقٍّ). ولم تُعْنَ هذه الدراسات الصوتية بالعمليات العقلية، التي تتم في ذهن المرسِل قبل إصدار اللغة، وذهن المتلقي بعد إصدارها، وهي تدخل في اختصاص علم اللغة النفسي، ولم نجد

العناية الفائقة التي تستحقها مثل هذه الدراسات، وهذه دعوة للاهتمام بموضوعات البحث المطروحة في هذا الاختصاص.

4- نحن أحوج ما نكون إلى ربط التنغيم بمستويات اللغة في الدراسات اللسانية الحديثة، فكل مستوى لغوي يرتبط بصلة ما به، لذلك يعد معرفة التنغيم وإدراك كنهه وماهيته أمرًا ملزمًا في الدرس اللساني، وذلك لأن له علاقة بالمعنى. ولا يفهم من التنغيم أنه قَصرٌ على درجة الصوت من حيث الارتفاع أو الانخفاض - كما عرّفه علماء الصوتيات - بل هو منظومة صوتية متكاملة لا يُستهان بها، حيث يدخل في أدائه النبر والوقف والمد، وتتابع مطرد للحركات والسكنات...إلخ، ونستطيع من خلال هذه المنظومة بيان مقاصد المقولات التركيبية في العملية الكلامية وتوجيهاتها.

Functional Intonational Type in the Construction of Synthetic Categorizations and Adjustment of the Semantic Guides

Ameena Salem Al-daihani, *Assistant Professor in Arabic Laguage. & Literature, Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait, Kuwait..*

Abstract

This research deals with the intonation and its importance in the contemporary study of language. It deals with applying some theoretical perspectives in heritage and modern studies. The descriptive analytical method has been followed. The most important objectives of this research are: the ability to establish governing rules for the path of intonation degrees, specifying its semantic features, considering it a linguistic method that is used to interpret the structure and significance issues, and disclosing the seven tasks of intonation. It states some of regulations to measure the intonation degrees, its levels (high, medium or low). It puts some criteria to specify the intonation degrees according to its components. The research includes some intonation vocal accompaniments which provide some clarifications. The research authenticates the relationship between the intonation as a tool, the formation as a construction and the connotations as inspiration. The research focuses on the role of intonation in forming the synthetic sayings and its structure. The research uses some intonation degrees to separate between the Grammatical methods and psychological dimensions. In the end, the research presents some evidence from the Holy Quran and poetry which illustrates the effect of intonation in the structure and its evidence. The research presents some recommendations to improve the criteria of classifying the intonation and its elements, which contribute to claifying the structures of the categories and controlling their semantic features.

Keywords: Intonational type, Synthetic categorizations, Semantic guides.

الهوامش

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني): **الخصائص**، تحقيق: د. محمد على النجار، ج1، المكتبة العلمية، (د.ت)، ص33.

(2) Crystal, David: **An Encyclopedic of language and languages**, Penguin Book, England, 1994, p212.

(3) إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، (د.ط)، مصر: مكتبة نهضة مصر، (د.ت) ص151.

(4) انظر: الموقع الإلكتروني: معجم المعاني الجامع.www.almaany.com.

(5) إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، (بتصرف)، ص81.

(6) ستيفن أولمان: **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، (د.ت)، ص93.

(7) انظر: ابن سينا، (أبو علي الحسن بن عبد الله): **الشفاء والخطابة**، تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1954م، ص198.

(8) انظر: فرانك: بالمر **مدخل إلى علم الدلالة**، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، ط1، الكويت: مكتبة دار العروبة، ص167، وما بعدها.

(9) انظر: Jemes W Gibson and Michael S Hanna**: Introduction to Human Communication**, Wm-C. Brown Publishers, Dubuque, IA, 1992, pp.98-99.

(10) انظر: تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط4، المغرب - الدار البيضاء: دار الثقافة، 1994م، ص228.

(11) almfoufakker.wordpress.com.

(12) انظر: سيبويه (أبو بشر بن عثمان بن قنبر) (ت 180 هـ): **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ، 1988م، ص55.

(13) المرجع السابق، ج1، 339.

(14) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص370، 371.

(15) المرجع السابق، ج2، ص371.

(16) انظر: محمد حماسة عبد اللطيف: **العلامة الإعرابية بين القديم والحديث**، د ط، الكويت، 1983م، ص20، 21.

(17) ابن فارس، (أحمد بن فارس بن زكريا) (395): **مقاييس اللغة**، ج8، تحقيق: عبد السلام هارون،)د.ط)، بيروت: دار الفكر، 1399هـ- 1979م، مادة: (وجه)، ص88-89.

(18) ابن جني، (أبو الفتح عثمان بن جني): **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج2، دار سركيس للطباعة والنشر، 1406هـ- 1986م، ص210.

(19) انظر: كمال بشر، **علم اللغة العام** (الأصوات)، القسم الثاني الأصوات، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص42 وما بعدها.

(20) سيبويه، الكتاب، ج2، ص220.

(21) المرجع السابق، ج2، ص220.

(22) أبو الطيب المتنبي، (أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي) (ت 354هـ): **ديوان المتنبي**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ- 1983م، ص331.

(23) المرجع السابق، ص332.

(24) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) (ت 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج8، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هاجر 1422هـ 2001م، ص295 وما بعدها. وانظر: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) (671): **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ج16، ط1، لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة 1427هـ- 2006م، ص321.

مصادر البحث ومراجعه:

أولا: المصادر والمراجع العربية:

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت)، **الخصائص**، تحقيق: د. محمد النجار، ج1، المكتبة العلمية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1406هـ- 1986م)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ج2، دار سركيس للطباعة والنشر.

ابن سينا، أبو علي الحسن بن عبد الله، (1954م)، **الشفاء والخطابة**، تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، (1399هـ- 1979م)، **مقاييس اللغة**، ج8، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، مادة: (وجه).

أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي (ت 354هـ)، (1403هـ- 1983م)، **ديوان المتنبي**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

أنيس، إبراهيم، (د.ت)، **الأصوات اللغوية**، (د.ط)، مصر: مكتبة نهضة مصر.

أولمان، ستيفن، (د.ت)، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.

بالمر، فرانك، (د.ت)، **مدخل إلى علم الدلالة**، ترجمة: خالد محمود جمعة، الكويت: مكتبة دار العروبة.

بشر، كمال، (2000م)، **علم اللغة العام**- القسم الثاني الأصوات، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

حسان، تمام، (1994م)، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط4، المغرب - الدار البيضاء: دار الثقافة.

سيبويه، أبو بشر بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، (1408هـ- 1988م)، **الكتاب**، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، (1422هـ - 2001م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج8، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هاجر.

عبد اللطيف، محمد حماسة، (1983م)، **العلامة الإعرابية بين القديم والحديث**، (د.ط)، الكويت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671 هـ)، (1427هـ- 2006م)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ج16، ط1، لبنان - بيروت: مؤسسة الرسالة.

ثانيا/ المراجع الإنجليزية:

Crystal, David. (1994). *An Encyclopedic of language and languages*, Penguin Book, England.

Gibson, Jemes W. and Hanna, Michael S. (1992). *Introduction to Human Communication*, Wm-C. Brown Publishers, Dubuque, IA.

ثالثا/ المواقع الإلكترونية:

1-www.almaany.com.

2- almoufakker.wordpress.com.